

قصيدة النثر ثمرة زواج بين نوعين أدبيين

الناقدة المصرية ناهد راحيل: النصوص النسائية العربية مرهونة بخطاب السلطة والنسق الذكوري



التجريب لا يقترن بفكرة التجديد

الاستثنائي، وقراءة "شعرية العتبات" في تجربته المركبة، المركبة، وتصف راحيل نصوص مطر بالخصبية وبالغة الخصوصية، لما فيها من تلاقي الأنساق المختلفة واستحضار الأساطير والملاحم والخرافات والسير الشعبية والذاكرة القروية، إلى جانب اللغة الشعرية متعددة الحقول والمستويات والإيقاعات والإجرائية الموسيقية.

وترى ناهد راحيل أن عوامل متعددة وراء تعزيز إبداع الهامش، وكسر الهيمنة السلطوية التي تفرض أنماطاً متوارثة، ومن هذه العوامل وسائط التواصل الاجتماعي "السوشيال ميديا" التي لعبت دوراً في القضاء على مركزية الإبداع وحصره داخل مؤسسات أدبية وأكاديمية تتحكم في عرض المشهد وفق ترتيبات ثقافية واضحة، وكذلك فعلت المؤتمرات الأهلية البعيدة عن تلك المنصات المؤسسية.

والعرقية، وتهتم فقط بالإنسان وقضاياها وبالممارسات الأخلاقية للمجتمعات، وقد عُرف لثور برفضه للسياسات الصهيونية في إدارة الصراع العربي الإسرائيلي، وانفصاله عن المجموع المتمثل في المؤسسة الصهيونية.

وتشير راحيل إلى أن هدفها الأساسي من دراسة الأدب العبري ليس تغيير عدسة رصده، بل توسيع إطارها، فقد اعتمدت الدراسات النقدية للأدب العبري لفترات طويلة على عدسة تبحث فقط عن ملامح الصراع وطرق تمثيل الآخر، وتعرض الكتابات العبرية المختلفة بوصفها كتابات مجنونة تخدم أهداف الكيان الصهيوني الاستعمارية.

كانت دراسة راحيل "النص الموازي" بوابة سحرية لنيلها جائزة الشارقة للإبداع العربي، بغوصها في عالم الشاعر محمد عفيفي مطر

تعرض راحيل على أن الدراسة الأدبية يمكن أن يكون هنا هدفاً في حد ذاته، ونقول "لا يمكننا تجاهل السياق السياسي والصراع الأيديولوجي الذي يحكم العلاقة بين الأدبين العبري والعربي، والمترجمين كل منهما بمحاولة تعريف الآخر؛ فالآخر دائماً نسبي تتحكم في تحديده زاوية الرؤية، لننظر آخر محتماً في تلك العملية التمثيلية. وفي أطروحتي، انطلقت من الرؤية الفنية التي تصدت في إفادة الخطابين من تقنيات الفنون المختلفة في عرض القضايا التي انشغل بها الشاعران، مع الاهتمام بالعلاقة بين التقني والدلالي والربط بينهما".

كانت التوجهات الفكرية للشاعرين عاملاً أساسياً في اختيار راحيل لهما، حيث يتبنى كل منهما الأفكار الماركسية التي لا تهتم بصراع الهويات، وتؤمن بتجميع الأيديولوجيا الدينية

كذلك، فإن المتلقي الذي تهيأ بعد فترة لاستقبال نصوص الأبروتيكال لن يتقبل النصوص التي تتناول الهويات الجنسية التي يراها منحرفة إلا بتغيير النسق الثقافي بأكمله، وتستطرد راحيل هنا، يساهم المتلقي مع خطاب السلطة في إقصاء تلك الخطابات التحررية عن المشهد الأدبي النسوي".

تتسم الفنون والآداب الحديثة بسبيلاتها وانجرافها في حالة تداخل وانزياح، بما فيها قصيدة النثر التي تأثرت بوجود الكتابة عبر النوعية وتداخلتها مع السرد والسينما وتتشكل والمسرح وغيرها، وعن ذلك ترى راحيل أن الأنواع الأدبية تتداخل وتتبادل التقنيات الفنية وأساليب التعبير في ما بينها، مع احتفاظ كل نوع بسماته الخاصة التي تميزه، وتحديداته النوعية التي تفصله عن الأنواع الأخرى، ويبقى القصد من التداخل هو التخفيف من سلطة النوع ومسيرة النمط الحدائي الذي طال التجربة الإبداعية بكل عناصرها.

كما أن الامتزاج بين الأنواع لا يلغيها، بل قد ينتج نوعاً جديداً، وتعد قصيدة النثر أجدر مثال لذلك، فقد زواجت بين نوعين أدبيين وأصبحت نصاً جامعاً له سماته وألياته وتحديداته النوعية الجديدة، وكذلك القصة الشعرية التي جسدت تحرك السرد على حدود نوع آخر هو الشعر، ويسبق هذا كله بالتأكيد المسرح الشعري.

واستوعبت قصيدة النثر، مثل الأنواع الأدبية الأخرى، تقنيات الفنون الأدبية والبصرية، فوظفت الأشكال الحوارية المنزجة بالنزعة القصصية والمسرحية، حيث تداخل الأصوات وتعددها، كما طالبت بتحقيق البنية البصرية داخل النص الشعري المكتوب، هذه المغامرة بدراسة مقارنات للخطاب والتشكيلية وتطويرها بما يخدم طبيعة الخطاب نفسه، والشروط الفنية الخاصة بكل نوع أدبي.

الهامش والعتبات

تظل دراسة الأدب العبري أمراً شائكاً مثيراً للجدل، وقد خاضت ناهد راحيل هذه المغامرة بدراسة مقارنات للخطاب الشعري بين الشاعرين الفلسطينيين محمود درويش والإسرائيلي يسحاق لثور، فإلى أي مدى جاءت هذه الدراسة في إطار قراءة الأخر المعروفة في إدارة الصراع؛ وهل يمكن للسرد الأدبي أن يكون مجرداً مغفلاً للخلفيات الأخرى؟

بالتوازي مع تحرير الوعي الإبداعي ونيد التمثيل كضرورة فنية ونسب قواعد الكتابة المستقرة، فإن المصرية ناهد راحيل تنتهج في نقدها التفجيري الخلاق طرائق متمردة على التمثيل والتقليدية، متنصلة تماماً من دواعي التقييد الشكلية والرؤيوية. "العرب" التقت راحيل في هذا الحوار حول تجربتها النقدية الزاخمة، وجهودها في قراءة الأدب العربي الجديد، وكذلك الأدب العبري بحكم تخصصها.

شريف الشافعي
كاتب مصري

الناقدة المصرية ناهد راحيل صاحبة أطروحات علمية مهمة حظيت بتقدير محلي وعربي، وقرارات لافتة وآراء جريئة في مجال الإبداع الحدائي والتجريبي الذي تتداخل فيه الأنواع، فتتولد أنساق مغايرة.

معايير الخطاب النسوي في طرحة الأوروبي لا تتناسب في مجملها مع الخطاب النسوي العربي والشرقي بمحدداته الاجتماعية

وإلى جانب دراساتها النظرية، فهي فاعلة وتساهم بحبوية في إثراء المؤتمرات بأوراق ومداحلات قيّمة، وأخرها بحثها حول الكتابة النسوية في مؤتمر "قصيدة النثر" بالقاهرة، الذي اختتم منذ أيام قليلة.

امتزاج الأنواع

من ميدان الدراسات الأدبية المقارنة، أضلت ناهد راحيل على فضاءات النصوص الأدبية، العربية والعالمية، باحثة ومدرسة أكاديمية في منظومة قسم اللغات السامية (العربية) في كلية الإسكندرية بجامعة عين شمس، ودراسة فريدة ومتميزة تأخذ على عاتقها إضاءة الإبداعات وتحليلها في كتب خاصة وأوراق شخصية، كواجب وهواية وشغف واهتمام، قبل أن يكون ذلك مجال عمل احترافي مخطط له بعناية.

وقدمت راحيل في مؤتمر قصيدة النثر بالقاهرة في سبتمبر الجاري قراءة مثيرة حول حدود التجريب في قصيدة النثر النسوية، معتبرة أن ثمة اختلافات تصدح ملامح كتابة المرأة في سياق التجريب العام الذي تخوضه قصيدة النثر المصرية الراهنة، ومن هذه السمات ما قد يكون سلبياً ومقيداً ومنتقصاً من حرية النص، لأسباب مجتمعية أكثر منها فنية.

في حديثها إلى "العرب" توضح أن التجريب لا يقترن بفكرة التجديد بقدر



ناهد راحيل

ويمكن القول إن الآليات الفنية في قصيدة النثر النسوية جاءت متوافقة مع ضروريات النسق الثقافي الذي انفتح على الفنون البصرية والأنواع الأدبية المختلفة، ومتوافقة كذلك مع خصائص قصيدة النثر العامة، إلا أن خصوصيتها تكمن في طرق توظيفها بصورة تخدم مقصدية الخطاب الشعري ومرسله.

وليس ممكناً أن تتطرق القصيدة النسوية إلى قضايا الجسدية وموضوعاتها كخطاب هوياتي يمتلك خصائص محددة، وغير مقبول أن نجد خطاباً نسوياً مثلياً كالنسوية المثلية في الطرح الأميركي، ويظل خطاب الجنس المسحوق به والمشرع اجتماعياً حاضراً وبقوة، وكذلك دور السلطة في السيطرة على هذا الخطاب ومنحه الشرعية بتداوله أو مصادرته بفرص الرقابة عليه.

وفي الوقت الذي وجد الشعر المثلي النسائي الأوروبي ضرورة للتعبير عن نفسه في إطار التخلص من السيطرة الذكورية وكسر القوالب الثنائية تحت مظلة النظريات النسوية وحركات تحرير المرأة، فإن تلك المظلة تغيب عند الحديث عن شعر مثلي نسائي عربي.

الكاتب والعائلة

أما والدة جان بول سارت فاكتفت بتعليقها الشهير "بولو (وهو الاسم الذي كان يعرف به)، لم يفهم شيئاً أثناء طفولته"، وذلك بعد قرائتها لسيرته "الكلمات" التي صدرت في نفس السنة التي سبقت فيها سارت جائزة نوبل. والأكيد أن العلاقة بين الكاتب والعائلة لا تكون دائماً بنفس التوتر، بل إن دفئها قد يشكل الموقد الذي يستطبع أن يمنح الفضاء الملائم للإبداع. وهو ما تعكسه كثير من الحالات التي طبعت مشهد الكتابة بالعالم العربي. ولعل من أشهرها حالته.



الكاتب عادة ما يكون خارج العائلة (لوحة للفنان معقود أورواوي)

أصدر سيرته الشهيرة "الخبز الحافي" التي كرسها لفضح نظام أسري بكامله، وعلى رأسه الأب.

وما يشفع لجرأة شكري هو أنه عاش حياة حافلة بكثير من الشقاء. إذ اضطر إلى ترك مسقط رأسه باليريف في الشمال المغربي المهدهد حينها بالمجاعة، ليهاجر رفقة عائلته، قبل أن يقفل السابعة من عمره، إلى طنجة هناك كانت تنتظره حياة أقسى، اضطر معها إلى مزاوله الكثير من الأعمال، محروماً بذلك من فرصة التعليم. وظل بذلك أمياً إلى سن العشرين، ليتمكن بعد ذلك من تعلم القراءة والكتابة بشكل عصامي.

أما الفرق بين الحكايتين فهو أن أفراد عائلة محمد شكري لم يكن بإمكانهم قراءة التفاصيل التي تساهم، لأنهم ببساطة أميون. وإن كان بعضهم وراء ضياع جزء من تراث محمد شكري بعد وفاته. غير أنه بخلاف رواية "أورليانز"، التي فشلت في تحقيق نجاحها الحقيقي خارج المحاكم ومنصات القنوات التلفزيونية المهيوسة برقع نسب المشاهدة، فقد استطاعت سيرة "الخبز الحافي" أن تضمن حضورها العالمي، عبر وصولها إلى حوالي أربعين لغة أجنبية. وبشكل أعم، لعل العلاقات العائلية التي يسبقها التوتر والنزاعات تكاد تطبع كل الجغرافيات الثقافية، على

حسن الوزاني
كاتب مغربي

يُعبد إقدام الكاتب والمخرج الفرنسي جان موكس، قبل مدة، على مقاضاة أفراد عائلته موضوع العلاقة بين الكاتب والعائلة إلى واجهة النقاش، الذي يقاسمه دفي العلاقة وتوترها. ولم يكن مصدر المشكلة إلا روايته الأخيرة "أورليانز"، وتصريحاته اليومية التي تلت صدور العمل والتي يعود فيها إلى اتهام عائلته بتعنيفه خلال مرحلة طفولته.

لم تنته الحكاية التي شغلت الرأي العام الفرنسي هنا، إذ ستخرج بقية أفراد العائلة لإتهام جان موكس بكونه يلعب دور الضحية ولفضح بعض جرائمه، ومنها محاولة إغراق أخيه الأصغر. وبذلك سيجد جان موكس، الحاصل سابقاً على أكثر من جائزة أدبية، ومنها جائزة رينو، نفسه خارج بوديوم جائزة الغونوغور الشهيرة. وإن كان إبعاد روايته "أورليانز" من الجائزة يحمل رائحة تهمة معاداة السامية، وهي الورقة التي أشهرها أفراد العائلة في حربه مع الابن العاق.

قبل ثلاثة عقود، وبشكل يحمل كثيراً من التقاطعات مع حكاية جان موكس، كان الكاتب المغربي محمد شكري قد



العلاقة بين الكاتب والعائلة

تكون غالباً متوترة وهو ما

تعكسه كثير من الحالات في

مشهد الكتابة بالعالم العربي

الأولى هي عائلة البرغوتي الفلسطينية التي تحضر تجاربها من خلال الأب الشاعر مريد البرغوتي، والزوجة الروائية والناقدة رضوى عاشور، المعروفة بنصها "ثلاثية غرناطة"، والابن الشاعر تميم البرغوتي والمفكر حسين البرغوتي.

أما العائلة الثانية فهي عائلة الوديع المغربية. إنها العائلة التي استطاعت أن تضم بين ثنائياها ثلاثة أجيال من الشعراء والمناضلين، يجمعهم انتصارهم للكتابة وللحرية.

وبمعزل عن ذلك، تظل وراثة الكتابة الأدبية مفتحة عن خضوعها لوصفة ما. إذ يحضر الكاتب الابن الذي يدخل مجال الإبداع من باب التماهي مع الأب والذي ينتهي بالأقول. كما يحضر الكاتب الابن الذي يملك قدرته الخاصة على الكتابة وعلى الإبداع. ولعلها حالة الكاتب الألماني كلاوس مان الذي استطاع أن يحفر مكاناً لاسمه الخاص، محتفظاً في نفس الوقت بعلاقة متوترة مع والده، الروائي توماس مان، الحاصل على جائزة نوبل. كلاوس مان سينتهي منتحراً، بينما اعترف الوالد بمسؤوليته حين أقر بأن وجوده كان يغطي على وجود الابن وعلى إبداعه.

وغير بعيد عن مجال الكتابة، تبرز ظاهرة وراثة دور النشر، وللظاهرة وجهان. الأول يرتبط بالدور التي تضمن

نجاحها بفعل انتقالها عبر أجيال العائلة. ولعل حال دار النشر الفرنسية غاليمار خير نموذج على ذلك. إذ أن الدار التي أسسها الجد الأول غاستون غاليمار قبل مئة سنة، مازالت تمثل إلى حد الآن إحدى أكبر دور النشر على مستوى العالم، بفضل قيمة منشوراتها، ما يحكم أرقام معاملاتها التي قد تتجاوز ما تحققه مجمل دور عدد من الدول العربية. أما الوجه الثاني للظاهرة فتمثله كثير من دور النشر التي تبدو كتجمعات عائلية، حيث يلتقي الآباء بالزوجات وبالبنات الصغار وبغيرهم من أفراد العائلة، بشكل يتم تحويل مهنة النشر إلى أكثر المهن التي تتناقل بالوراثة بدل التحصيل الأكاديمي والمهني. ولذلك يبدو عادياً أن ينقلب الابن على الأب فور تعلمه لبعض أساليب النشر، وللظاهرة وجهان. الأول يرتبط بالدور التي تضمن